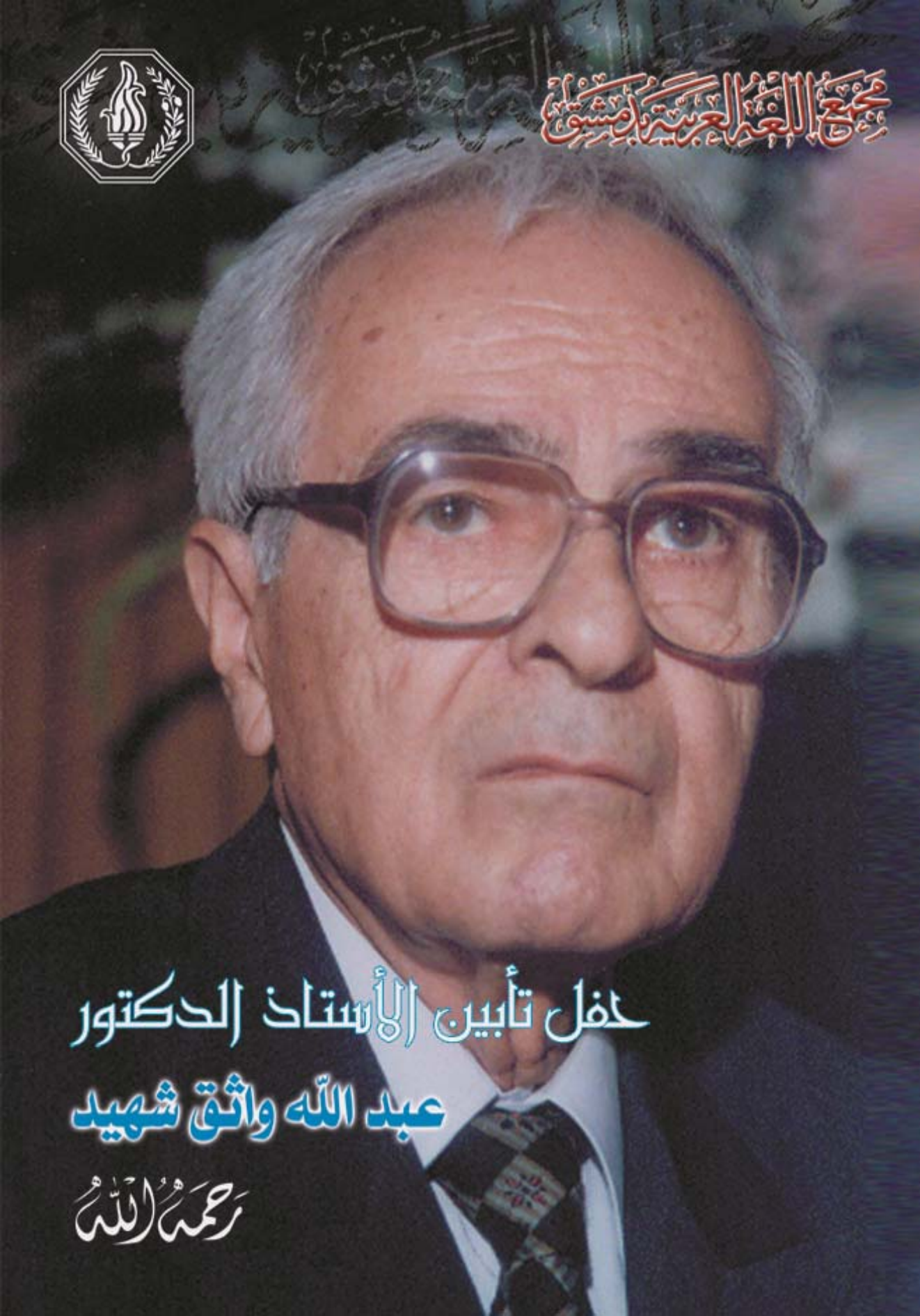
مجمع اللغة العربية بدمشق
حفل تأبين الأستاذ الدكتور
عبد الله واثق شهيد
رحمه الله

مجمع اللغة العربية بدمشق

حفل تأبين الأستاذ الدكتور

عبد الله واثق شهيد

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

حفل تأبين
الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد
رَحِمَهُ اللَّهُ

أقيم في الساعة الثانية عشرة من يوم الأربعاء في ١٧ ذي الحجة ١٤٣٦هـ الموافق ٣٠ أيلول ٢٠١٥ في مكتبة الأسد، حفلٌ تأبيني للراحل الكبير الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد رحمه الله، برعاية السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية.

وقد اختار الله فقيدنا إلى جواره في الأول من ذي القعدة ١٤٣٦هـ الموافق ١٥/ ٨/ ٢٠١٥ بعد رحلة طويلة حافلة بالعطاء المتنوع.

- بدئ الحفل بتلاوة آيات مباركات من الذكر الحكيم.

ثم تتابع إلقاء الكلمات كما يلي:

- كلمة راعي الحفل ألقاها الدكتور عامر الماردينى وزير التعليم العالي.
- كلمة مجمع اللغة العربية ألقاها الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع.
- كلمة مركز البحوث العلمية ألقاها الدكتور عمرو أرمنازي مدير المركز.
- كلمة جامعة دمشق ألقاها الدكتور حسان الكردي رئيس الجامعة.
- كلمة أصدقاء الفقيد ألقاها الدكتور عماد الصابوني.
- كلمة طلاب الفقيد ألقاها الدكتور أحمد الحصري.
- كلمة آل الفقيد ألقاها الدكتور زكريا جقل.
- كلمة الختام ألقاها الأستاذ محمد زياد حلمي.

كلمة عريف الحفل
الأستاذ محمد زياد حلمي

السيدة الدكتورة **نجاح العطار**، راعي الحفل، نائبُ رئيس الجمهورية العربية السورية.
الأستاذ الدكتور **محمد عامر المارديني**، وزيرُ التعليم العالي.
الأستاذ الدكتور **مروان المحاسني**، رئيسُ مجمع اللغة العربية بدمشق.
الدكتور **عمرو أرمنازي**، مديرُ مركز الدراسات والبحوث العلمية.

السّادةُ الحضور..

أرحّبُ بكم جميعًا أجمل ترحيب، ونحن نجتمع في هذا الصرح الثقافي الكبير مكتبةِ الأسدِ الوطنيةِ بدمشق، في حفل تأبين **الأستاذ الدكتور عبدِ الله واثق شهيد** رحمه الله.

إنه واحد من رجالات المجتمع العِظام..رجلٌ من أساطين العلم والتربية والتعليم.. رجلٌ من نخيل، كما وصفه الباحث **محمد جمعة حمّادة** في كتابه الذي سمّاه (واثق شهيد رجلٌ من نخيل)..

إنهم رجال يرحلون أبدانًا..وتبقى علومهم. يفنون أجسادًا.. وتخلد مآثرهم وأخلاقهم. هؤلاء أيها السّادة ينبغي ألّا تتوقف حياتنا بانتهاء حياتهم.. بل يجب أن يُخلقوا فينا مجدّدًا.. علمًا .. وأخلاقًا .. ومبادئَ راسخةً.. لنحفظَ نتاجهم.. ونكملَ مسيرتهم.. ثم نسلّمَ عطاءاتهم إلى الأجيال القادمة بأمانة وإخلاص.

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ على الهدى لمن استهدى أدلّاءُ
ففزْ بعلم تعشْ حيًّا به أبدًا الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

خير ما نبتدئ به حفلنا.. آيات من الذكر الحكيم، يتلوها على مسامعنا القارئ الشيخ **عبد الغني أبو شعر**.. فليتفضّل مشكورًا.

كلمة الدكتور محمد عامر ماردیني
وزير التعليم العالي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾
فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

أيها الحفل الكريم:

باسم السيدة الدكتورة نجاح العطار.. نائب رئيس الجمهورية

وباسم وزارة التعليم العالي، وباسم الجامعات السورية على امتداد مساحة الوطن، وباسم معاهدها العليا ومراكزها البحثية، وباسم مجلس التعليم العالي، أتقدم بأحر التعازي إلى السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، وإلى شعبنا العربي في سورية لرحيل الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد، ذلك العقل السوري المتفتق بالعلم، والكنز المعرفي الوافر، جعله الله قربانًا وإيذانًا بانتصارنا على الجهل والجاهلين، وعودة السلم والسلام إلى ربوع وطننا الحبيب بهمة جنودنا البواسل الغانمين، وبدماء شهدائنا الأبطال الميامين، إنه سميع مجيب.

أيتها السيدات...أيها السادة

لعله أمر بالغ الصعوبة أن أتحدث، وأن أكتب عن شخص لم أَلْتَقِ به إلا مرة واحدة في العمر...ولم يتجاوز الحديث في ذلك اللقاء، إلقاء التحية وحسب..

إلا أنه كان شرفًا عظيمًا أن أضع يدي في يد الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد.. أصافحه.. لا بل لم أكُ أحلم يومًا، أن أصبح خليفةً له في منصب وزير التعليم العالي..

كل الذي كنت أعرفه عن المرحوم عبد الله واثق شهيد ما كان ابن عمتي المرحوم الأستاذ الدكتور معن العظمة يرويه عنه أيام كنت طالبًا جامعيًّا... ثم لاحقًا ما كان يدور من حديث بين صديقين مع الأستاذ الدكتور محمد سامر الرفاعي، وفي كلتا الحالتين كان الحديث عن مدير مركز البحوث العلمية بالوَمْي وبالرموز والإشارات، وكأنه هو نفسه سرٌ من الأسرار العسكرية.

نعم حتى لِاسْمه كان وقع مختلف عن بقية الأسماء..اسم يمتلك من الهيبة ما يُلْمح إلى شخصية متميزة.. ولكل امرئ من اسمه نصيب..فهو العبد المتواضع لله..والواثق بنفسه وبوطنه ثم الشهيد..

وربما التكتم عن الحديث عن شخصه كان مرتبطًا بإدارته لأسرار البحث العلمي في الوطن.. أو ربما هي أخلاقيات الباحثين الأجِلّاء الذين يبتعدون عن المفاخرة والتفاخر.. أو ربما هو التكتم بحكم الأوامر العسكرية، لكننا عندما نقرأ سيرته العلمية، نجد أنه علامة متميزة منذ أن نشأ وترعرع في قريته الصغيرة دارة عَزَّة، إلى أن اعتلى منابر العلم والمعرفة في المغترب، ثم ليصبح أستاذًا جامعيًا فوزيرًا للتعليم العالي، فمديرًا لمركز البحوث العلمية.

نعم هو الأستاذ الجامعي الذي مزج العلم بالتربية، وهو الوزير المخطط لتطوير التعليم العالي، وهو المدير المتمرس الذي جعل من مركز البحوث منارة سورية إلى العالم المتحضر ونقطةً عُلّامةً على المستوى الوطني والعربي وحتى العالمي.

وباعتبار أن شعوب الأرض تبحر في تاريخها بشراع العلماء فقد كان – رحمه الله – قبطانًا ماهرًا حمل راية الوطن ورفعها عاليًا.. عقلًا سوريًّا متفتقًا بالعلم والمعرفة، يحق لكل مواطن أن يفخر به.. وصحيح أنه قد فارقها جسدًا، إلا أنه بقي بيننا خالدًا. فما مات من مات محمودًا خصائله.. وسيبقى حيًّا في قلوبنا وفي وجداننا لكل ما تركه لنا من علم وافر وأعمال جليلة، وبصمات متميزة، وإنسانية عظيمة.

لقد كان رحمه الله واحدًا من الشخصيات الوطنية الفذة والمتميزة كما تشهد أعماله العلمية، ومهماته التي تولاها، والإنجازات العظيمة التي أسهم في تحقيقها في المواقع التي شغلها.. وكل ذلك كان بجدارة واقتدار .. مضافًا إليها مناقب أخلاقية وإخلاص وولاء للوطن والتزام بالواجب.

الرجال أيها الراحل كُثْر.. لكن أمثالك قليل... الذين يشتغلون كما هي الشموع بمحاربة الظلام.. ظلام الجهل والتخلف وإنارة طريق الخير والعطاء.. طريق النور والمعرفة للأجيال القادمة..

ستبقى ذكراك عطِرة في قلوب السوريين جميعًا، وستفتقدك سورية كثيرًا كما ستفتقدك مكارم الأخلاق والإخلاص في العمل والتضحية في سبيل الوطن..

نعم كنت عظيمًا في حياتك وها أنت عظيم في مماتك..

نَمْ قرير العين لأنك خالد فيما قدمت، رحمك الله رحمةً واسعةً، وألهمنا جميعًا الصبر والسلوان، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم أجد في النهاية إلا بعض أبيات من الشعر في رثاء العظماء أمثالك أهديها إليك على لسان الشاعر جاسم الصحيح حيث يقول:

صُبُّوا على مثواه باقي حبره ... فلعله يرتاح داخل قبره
الحبر زمزمه الطهور فطالما ... روَّى الضمائر من منابع طهره
صُبُّوا على مثواه آخر قطرةٍ ... زرقاء تقبع في خزائن سِرِّه
واستنجدوا بالبحر يكتب دوننا ... مَرْثيةٌ تكفي لِسيِّد دُرِّه
البحرُ يرثي البحرَ حيث كلاهما ... أدرى بحزن الموج ساعة جزره
كلُّ امرئ في الدهر محض حكاية ... والحُرُّ من يغدو حكاية دهره

يـــا أيهـــا الجبـــل الطـــريح ولم يـــزل يُلقـــي عـــلى الآفـــاق هيبـــة صـــخره
المـــوت علَّمـــه الخطابـــة صـــامتًا فتحـــدثت لغـــة اللغـــات بثغـــره
والنخـــل كـــان هنـــاك يفـــترع المـــدى حزنًـــا، ويســـقط دمعـــه مـــن تمـــره
لا تنظمـــوا خـــرز البكـــاء قوافيًـــا مـــا ثَـــمَّ أجمـــلُ مـــن قصـــيدة نثـــره

هـــذا مقـــام الشـــاكرين وهـــا أنـــا قلـــم يطيـــل لـــديك ســـجدة شـــكره
لـــو كـــان عمـــرك بيـــتَ شـــعر لم يجـــد عجـــزًا يعـــادل مـــا احتـــواه بصـــدره
الشـــعر سِـــكّين ولـــيس بشـــاعر مَـــن لا تُجرِّحـــه كتابـــة شـــعره

رحمة الله على فقيد سورية، ولكم طول البقاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور مروان المحاسني
رئيس مجمع اللغة العربية

السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية

الأستاذ الدكتور محمد عامر ماردیني وزير التعليم العالي

أيها الحفل الكريم:

إني إذ أشكر للسيدة الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية تكرمها برعاية هذه المناسبة الحزينة، أقول: في هذه الأيام الحالكة التي تواجهنا فيها أعاصيرُ في قلبها نار، وتتراكسُ علينا فيها المصائب، يجمعنا اليوم قصدٌ نبيل، بل واجب وطني، هو استذكار مزايا وأعمال أخٍ عزيز، وهو فقيدنا الكبير الدكتور عبد الله واثق شهيد رحمه الله.

لست في صدد تأبينه مُهْتَبِلًا ما يعتبره البعض فرصةً تُستغل للإطراء والتقريظ، بل إني أعتمد مسارًا فكريًا نزيهًا، يحاول إبراز ما يجب توضيحه من مآثر وعطاءات تستحق تسليط الأضواء عليها بكل أمانة، خدمةً للحقيقة، ووصولًا إلى صورة مضيئة نَودّ أن يحفظها مجتمعُنا.

لم أعرفْه فتىً أو طالبًا، ولو أننا تخرجنا في جامعة دمشق في سنتين متتاليتين ١٩٥٠ و١٩٥١، هو في كلية العلوم وأنا في كلية الطب، وما ذلك إلا لأن كلية الطب لم تخرج من مواقعها الأصلية التي أنشأها مؤسس الجامعة الدكتور رضا سعيد رحمه الله، في المستشفى الوطني وتوابعه، على حين أُحدِثت كلية العلوم في الأربعينيات حين جُهّزت الثكنة الحميدية الكبيرة المطلّةُ على المرجة الخضرا، لتكون أمَّ الكليات الجديدة، تلمّ شمل الآداب وما فيها من علوم إنسانية، والعلوم بما فيها من علوم دقيقة، قبل أن تضاف إليها كلية الحقوق.

لقد كان لقاؤنا حين كنا مُدرسَين أيام الجمهورية العربية المتحدة، ورشحتنا جامعتنا مع زميلنا الدكتور وفائي حقي أستاذ الكيمياء رحمه الله، لنشارك في تأسيس فرعٍ في دمشق للمجلس الأعلى للعلوم القائم في القاهرة . فقد دعينا إلى مقابلاتٍ إفرادية مع الدكتور عبد الفتاح إسماعيل الأمين العام للمجلس لتوضيح المهام، ولعلّ المقابلةَ كانت اختبارًا. ولن أنسى أنني سمعت من الأمين العام في تلك المقابلة ما تنشرح له الصدور، فقد بسط أمامي نظرةً مستقبلية رائعة لمجلسٍ يجمع علماء البلاد، للمباشرة بإجراء بحوثٍ علمية أصيلة تخدم متطلبات تنمية بلادنا، وعلى رأسها مشروع السد العالي وما يترتب على إنشائه من تأثيرات في حياة البشر والمخلوقات، وفي الحياة الاجتماعية في مجالات السكن والغذاء .

وجميعها أمور تتطلب دراساتٍ قَبْلِيَّةً تقام قبل أن يصلَ المشروع إلى تمامه، وتنسكبَ المياه غامرةً تلك المساحات الواسعة المحيطة بنهر النيل. وهكذا كان انطباع زميليّ حين قبلنا المهمة وباشرنا العمل لتكوين السكرتارية الفنية للمجلس الأعلى للعلوم.

وكان اعتزازنا بهذه المهام الملقاة على عاتقنا يزيدنا حماسة ، إذ كنا قد عدنا قبل مدة قصيرة إلى جامعتنا بعد إتمام اختصاصنا في الغرب سنة ١٩٥٨، يعمُّنا تَوقٌ شديد إلى المشاركة في رقي بلادنا.

فعكفنا معًا على تنسيق الأعمال المطلوبة كلٌّ في اللجنة التي تولى أمانتها، إذ كان الدكتور شهيد أمينَ لجنة النشر العلمي التي يرأسها أستاذه الأستاذ وجيه السمان، وكنت أمينًا للجنة الأفراد العلميين التي يرأسها أستاذي الدكتور عزة مريدن، وتولّى الدكتور وفائي حقي لجنةَ التجهيزات العلمية التي يرأسها الأستاذ وجيه القدسي. وكان أن التحق بنا في السكرتارية الفنية في السنة التالية الدكتور عبد الرزاق قدورة رحمه الله.

لقد كان عملنا، إضافةً إلى حضور جلسات اللجان وجلسات المجلس، أن نقدم الدراسات التفصيلية عن الأمور المطروحة، عن طريق أمين المجلس الأستاذ زهير الكتبي، لتعرض لمناقشتها في المجلس، قبل أن تُرسل إلى المجلس الأعلى في القاهرة. ومن الدراسات الهامة التي قدمناها إلى المجلس ثم ذهبنا إلى القاهرة لمناقشتها في المجلس الأعلى، الخطةُ العلمية للإقليم الشمالي لعام ١٩٥٩، وقد اعتمدنا المعطيات التي حصلنا عليها من الوزارات المختلفة، عن طريق استمارات توضّح الغرض من هذا الاستقصاء.

ومن جهة أخرى فقد كان الدكتور شهيد يتصل بالجامعيين ليرسلوا مصطلحاتهم العلمية إلى المجلس، لتناقش في لجنة النشر العلمي، تمهيدًا لعرضها على مجمع اللغة العربية لاعتمادها.

وإنها فرصةٌ أتيحت لي أن أتعرف حقيقةَ رجلٍ كامل المروءة، واثقٍ من نفسه، لا تُخِيْدُه الصعوبات عن قناعاته، ولا تُخيفه التحديات، يتمتع بصبر عجيب يتيح له الوصول إلى أهدافه دون الاختصام مع الذين يتشبّثون بوجهات نظرهم.

وكان هذا كله واضحًا حين طُلب إلينا التحضير لأسابيع العلم المتتالية التي جعلت من المجلس الأعلى للعلوم منبرًا لإحياء التراث، وعَلَمًا يُطلّ على متطلبات المستقبل العلمية. فقد كنا نؤلف اللجان التي تختار البحوث متجاهلةً جميع المؤثرات الشخصية، في موضوعاتٍ تعيد إلى التراث موقعَه عن طريق توضيح المعروف عن أمثال البيروني، وابن زهر، وابن البيطار، والكندي، وجابر بن حيان، وهي موضوعاتٌ ليس الغرضَ منها الافتخارُ بالتراث، بل تحفيزُ المجهود العلمي اللازم للّحاق بالعالم المعاصر، وإبرازُ سَبْق الثقافة العربية الإسلامية إلى إنتاج منهجية علمية أخذتها أوربا عنها.

وقد تجلّى التقدير لعمله في المجال العلمي حين صدر مرسوم بتعيينه نائبًا لوزير التربية لشؤون الجامعات عام ١٩٦٦ وأُلحق بمرسوم آخر بعد شهور قليلة بتسميته

وزيرًا للتعليم العالي، وهذا ما مكنه من وضع أسسٍ متينة للعلاقة بين الجامعات وبين الوزارة، إضافة إلى إعادة النظر في المستويات التدريسية لإصلاح ما فيها من خلل وجعلِها تتطابق مع متطلبات العصر.

وكان لما بذله من جهود استمدها من خلفيته الثقافية العلمية العالية - متأثرًا بأساتذته الكبار في الجامعة، ومرتكزًا إلى اتصالاته العلمية المرتبطة بتحضير الدكتوراه في العلوم الفيزيائية في جامعة باريس عام ١٩٥٧، إذ كانت أطروحته للدكتوراه عن المُسرّ-عات الخطية التي تسمح بدراسة تركيب قلب المادة، أي بنيان المادة في أعمق أغوارها – وكذلك لما تميَّز به عملُه في تأسيس وزارة التعليم العالي، أن كُلّف إنشاءَ مركزٍ للدراسات والبحوث العلمية عام ١٩٧١، وهو المركز الذي احتضن أرفع أنواع البحوث العلمية في فروع العلم المختلفة، وذلك بالتعاون مع الموفدين الذين عادوا من أوربا وأمريكا حاملين لأعلى الشهادات العلمية.

ولا شك بأن مركز الدراسات والبحوث العلمية قد أدخل سورية في لبّ الدراسات العالمية عن تركيب المادة، وكيفية الإفادة من طاقةٍ يمكن لها أن تقدّم الخدمات الجلّى للبشرية، بدل أن تكون طاقة مُخرّبة. وأن خبراتِه العلمية المتراكمة قد مكّنته من أن يجعل من هذا المركز مختبرًا مفتوحًا تُدرس فيه جميع احتياجات البلاد التطبيقية في العلوم. وذلك دون أن ينقطع عن تدريس فروع الفيزياء في جامعة دمشق . وهذا ما دفعه إلى إدخال مفهوم جديد إلى ملاك الجامعات هو إحداث هيئة فنية يتدرّج أعضاؤُها في الارتقاء العلمي عن طريق بحوث تقرها الجامعة، ليكونوا مؤازرين لأساتذتهم ومتمكنين من العلم عن طريق بحوثهم الشخصية، وهذا ما جعله مُصرًّا على ضرورة فتح أبواب التفرُّغ أمام الأساتذة الجامعيين.

أيُّها الحفل الكريم:

لا أريد أن أسترسل في ذكر عضوية اللجان التي مثّل سورية فيها، كاللجنة الاستشارية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة، ولجنة الخبراء في اليونسكو لمسائل البحث العلمي وحاجات الإنسان عام ١٩٨٠، وقد رأس لجنة استراتيجية العلوم والثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وكانت له أيادٍ بيضاء رئيسًا للجنة تطوير قوانين التعليم العالي وأهمها قانون تنظيم الجامعات، وقانون مجلس البحث العلمي، وقانون المجلس الوطني للسياسة العلمية والثقافية.

إن الانخراط في هذه اللجان العليا المهتمّة بتطوير العلوم في سورية لم يمنعه من المثابرة على نشر البحوث العلمية في مجال تخصصه في عدد من المجلات العالمية، وذلك إلى جانب مؤلفاته التدريسية في كلية العلوم.

ويتبين من كل ذلك أن الدكتور واثق شهيد رحمه الله كان رجلَ المهمات الصعبة. فقد اختار موضوعًا صعبًا لأطروحته في باريس ، كما أنه قد تمكن بفضل عمق معرفته أن يحقق بإنشاء مركز الدراسات والبحوث ما كان يطمح إليه المجلسُ الأعلى للعلوم وذلك حسب أعلى المتطلبات الحداثية.

لقد انتخب الدكتور شهيد عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية عام ١٩٨٨ وأصبح الأمين العام للمجمع منذ عام ١٩٩٦ وحتى عام ٢٠٠٨.

واتّسمت ممارسته للأمانة بما هو معروف عنه من صبرٍ وأناة، ودقةٍ في معالجة المشكلات، وحنكةٍ في الوصول إلى الأهداف المرجوة.

فهو الذي أدخل إلى مجمعنا مفهومًا جديدًا كان قد طبقه على الجامعات وهو إيجاد هيئة فنية موازية للوظائف الإدارية في المجمع، وأفرادها جامعيون أرادوا الاستمرار في

بحوثهم العلمية، يستفيد المجمع من وجودهم أمناء للجان يشاركون الأعضاء العاملين في بحوثهم، كي يبقوا متدرجين في سلم الشهادات العلمية العليا.

وقد كان كذلك الدافع الأساسي لقيام مشروعٍ كانت الحاجة إليه مُلحّة هو توحيد المصطلحات العلمية التدريسية في جامعات القطر، بعد أن تبيّن وجود الكثير من الاختلافات بين جامعة وجامعة أخرى وحتى بين قسم وقسم آخر، وذلك تبعًا للمشارب الثقافية الأجنبية التي حمل الأساتذةُ تأثيراتها في تدريسهم. ولذا فقد جمعنا مسارد جميع الكتب التدريسية في العلوم، المعتمدة في جامعات القطر، وألّفْنا لجانًا متخصصة تنظر في توحيد تلك المصطلحات.

ومن حق فقيدنا أن يكون أولُ معجمين علميين حديثين نشرهما مجمعنا قبل بضعة شهور هما معجما مصطلحات الفيزياء والكيمياء اللذين أنتجتهما لجنتان كان يرأسهما منذ عام ٢٠٠٨، وقد أرسل المجمع المعجمين إلى وزارة التعليم العالي ليكونا المرجعين المعتمدين لكل ما يَرِد في كتب الفيزياء والكيمياء الجامعية في سورية، ومازالت لجان العلوم الأخرى تتابع أعمالها.

أيها الحفل الكريم:

لا يرقى بياني إلى تعداد الوجوه المتعددة التي أبدى فيها فقيدنا تميزًا وهمّة عالية لا تعرف الكلال، ولعل موهبةَ التأسيس كانت الطابع الأشمل لنشاطاته. فكان من مؤسسي المجلس الأعلى للعلوم، ثم أسس وزارة التعليم العالي وانتهى إلى تأسيس مركز الدراسات والبحوث وقد أبدى في هذه المهام جميعًا أصالةً فكرية حقيقية، وحكامةً رشيدة، وطموحًا وطنيًا لا حدود له.

وهكذا رأينا حياة الدكتور واثق شهيد رحمه الله تنساب بين منارات ثلاث: منارة المجلس الأعلى للعلوم الهادف إلى إعادة النشاط العلمي محورًا من محاور الحياة الفكرية، ومنبرًا تعيد فيه أسابيع العلم المتتالية ذكرى علماء الحضارة العربية الإسلامية، وكان آخر أسبوع للعلم عام ٢٠٠٠. وأما التعليم الجامعي فكان ثاني المنارات إضافة إلى وزارة التعليم العالي، فإن كانت الوزارة عابرةً في حياته فإنه استمر في التعليم مدة لا تقل عن أربعين سنة استفاد فيها طلابه من خبراته وطاقاته التعليمية. وتبقى المنارة الثالثة وهي مجمع اللغة العربية حيث كان من أشد المدافعين عن ضرورة إدخال التغيرات العلمية إلى لغتنا، ليصل أبناء مجتمعاتنا إلى تفهّم تلك التغيرات العالمية تفهمًا حقيقيًا. ذلك أنه لا بد من إيجاد تطابق عضوي بين اللغة وبين واقع مجتمعاتنا، وما يتطلبه الأفراد من مرتكزات لغوية لفهم ما لا يمكن لهم فهمه بغير لغتهم الأصلية. وإن توطين العلوم الحديثة في لغتنا العريقة يتطلب الإسراع في إدخال التغيرات العالمية إلى لغتنا قبل أن تَفرضَ نفسها مصطلحاتٍ تدخل اللغة كتلةً صماء محمولة على ألفاظ غير عربية.

لقد كان الدكتور شهيد واحدًا من جيلنا، ذلك الجيل الذي لم يُحل انفتاحه على الغرب دون تمسُّكه بأصالته واعتزازه بتراثه المجيد، في مسار نهضوي متميز يحدد الوسائل و يَرُوْزُ الصعوبات قبل الانطلاق في العمل.

ولقد ضمّ الدكتور شهيد جهوده إلى جهود زملائه في مجمع اللغة العربية في خطة تحديثية للغة تتساوق مع الإيقاع المتسارع لعمليات يفرضها الوعي المجتمعي الراغب في إعادة لغتنا إلى موقعها العالمي.

فإن مسعانا إلى الارتقاء ببلادنا إلى مصاف الدول الراقية لن يبلغ منتهاه إلا بعد أن نصل إلى تطابق حقيقي بين لغتنا وبين اللغات العالمية، في حسن التعبير ودقة المعاني. نحن نصبوا إلى لغة عالية تحمل علومًا دقيقة واضحةَ المفردات سليمةَ التركيب، تعتمد المخزون الثقافي واللغوي الذي تنفرد به لغتنا.

لهذا فلن نقبل أي قطيعة معرفية بين ماضينا وحاضرنا، بل نؤكد صلوح لغتنا لاستيعاب العلوم ومسايرة تطوراتها. وإنّ الدكتور شهيد من حَمَلَة هذه الرسالة وله مآثر كثيرة في خدمة لغتنا.

رحم الله الدكتور عبد الله واثق شهيد وأسبغ عليه رضوانه، وأحسن إليه.

أشكر لكم مشاركتكم مجمعنا في أحزانه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الدكتور عمرو الأرمنازي
المدير العام لمركز الدراسات والبحوث العلمية

السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية راعي الحفل

الأستاذ الدكتور عامر ماردیني وزير التعليم العالي

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية

الأستاذ الدكتور حسان الكردي رئيس جامعة دمشق

أصدقاء الفقيد

زملاء الفقيد

طلاب الفقيد

آل الفقيد

أيها الحفل الكريم:

بمزيجٍ من الاعتزاز والأسى، أقف أمامكم اليوم لأتحدث عن الراحل الكبير الدكتور عبد الله واثق شهيد، وذلك انطلاقًا من البوابة الكبرى، بوابة مركز الدراسات والبحوث العلمية، التي مثلت محور آماله وطموحاته وتطلعاته وجهوده وإنجازاته مدّةً تجاوزت الربع قرن من الزمن. واعتزازي ينبع من اعتبارين: الأول، أنه أُتيحت لي الفرصة كما ولزملاء عديدين أن نسير معه، وتحت قيادته وإدارته الفعالة والحكيمة لمركز الدراسات والبحوث العلمية، مسيرةً طويلة من العمل المُبدع والدّؤوب بكافة مراحلها ومفاصلها الهامة والفرص والتحديات والصعاب التي واجهتها. وقد امتدت تلك المسيرة زُهاء عشرين عامًا، وشملت سَنوات التأسيس والإقلاع في العمل وتطوير البِنى

المؤسّساتية، وتنويع وتوسيع النشاطات، وتحقيق الإنجازات والنتائج الهامة المُتَعددة المستويات الناجمة عنها، وعلى أصعدة مختلفة.

كما أنه من دواعي اعتزازي أيضًا أنني تشرفت منذ أيار عام ١٩٩٩ بإدارة هذه المؤسسة الرائدة التي تمثل صرحًا علميًا وتقانيًا بارزًا في وطننا، والذي كان للمرحوم الدور الطليعي والكبير في إشادته وإدارته وفي ترسيخ أسس استدامته ونموه، وذلك بدعمٍ ثابت ومطّرد من الجهات الرسمية ترافق مع نمو قُدراته وإنجازاته. تم أول لقاء بيني وبين الدكتور شهيد في مثل هذا الشهر قبل أربعين عامًا على وجه التَحديد، عندما كنت أتحين فرصة العودة إلى الوطن بعد خمس سَنوات من العمل في مخبر بحث أمريكي مرموق، وبعد عشر سَنوات من الاغتراب كانت تتخللها زياراتٍ قصيرة إلى الوطن كل عامين. مثَّل ذلك اللقاء مع الدكتور شهيد لحظة مفصلية في حياتي على كافة الأصعدة، فكانت عودتي النهائية إلى الوطن بعد ستة أشهر، حيث التحقت بهذا المركز الناشئ، وباشرت العمل فورًا في بناء القُدرات في مجالات تخصصي بعد توفير الدعم اللازم وفق ما كان قد وعدني به الدكتور شهيد، وكان صادقًا في وعده. لقد مثَّل مركز الدراسات والبحوث العلمية للمرحوم الدكتور شهيد تجسيدًا لرؤى وطنية عميقة ومُتكاملة تتجاوز الغايات المُباشرة المقصودة من إشادة مؤسسة علمية تقانية وطنية متقدمة تستند إلى تشريعات ونظم عمل حديثة ومرنة، وتتمتع بقدراتٍ بشرية ومادية هامة ومُتَنامية وبإدارة عامة وعلمية فاعلة. ويمكننا استقراء الملامح المباشرة، وتلك الأبعدِ مدًى لهذه الرؤى من خلال النّظر بإمعان في العَديد من التَوجهات والسياسات والمُبادرات التي جرى العمل بها، أو إطلاقها خلال مسيرة المركز الطويلة بإدارة راحلنا الكبير، فبعضٌ منها كان بدافعٍ وبمبادرة مباشرة منه، وبعضها الآخر كان بمبادراتٍ وطروحاتٍ تقدم بها العَديد من زملائه الأكفياء، والذين اكتسبوا خبراتٍ قبل التحاقهم بالمركز، أو من

ممارسة العمل فيه، حيث جرى التَّعاطي معها بطريقة خلاقة، وهذا ما أتاح لها الوصول إلى حيّز التنفيذ. وما كان هذا ليتحقق دون توفر بيئة عمل تفاعلية منفتحة وإيجابية أسّس لها د.شهيد، أتاحت لذوي الاختصاص والخبرة والأفكار النيّرة طرحها ونقاشها ونقدها وصولًا إلى اعتماد الصائب منها كان المرحوم الدكتور شهيد بذلك مثال العالِمِ المُتَواضع الذي يعتز بعلمه، وينقله للآخرين ويوظفه في تطوير العمل في المؤسسة. كما كان منفتحًا على التعلم من معارف وخبرات الآخرين في المركز، والاستفادة من كفاءاتهم في بلورة وتطوير رؤاه وأفكاره، وفي صياغة استراتجيات وتوجهات المؤسسة العلمية والتقانية والتنظيمية، وكان يعتمد في ذلك على نخبة مميزة من المديرين والمختصين والباحثين القادرين على تقديم مثل هذه المساهمات في دعم صنع القرار. كما كان منفتحًا ويشجع على الاستفادة من المعارف والخبرات المتوفرة داخل الوطن كلِّه، وتلك التي يمكن اكتسابها من جهاتٍ خارجية، وقد مثَّل هذا النهج المنفتح والمتكامل في الاستفادة من المعارف والخبرات سواء تلك المتاحة في المركز أو خارجه، سمةً مفصلية ومميزة لمسيرة المركز الطويلة عبر عقودٍ من الزمن، وعنصرًا هامًا في نجاحاته وإنجازاته كان الدكتور شهيد يؤمن إيمانًا راسخًا بدور العلوم والتقانة في تحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات النامية كما في المجتمعات المتقدمة، واعتبر أن تأسيس المركز يمثل انطلاقة حقيقية للمساهمة في تحقيق هذه الرؤى في المستقبل بالاعتماد على بيئة حاضنة تجري تنميتها وتغذيتها بمناهج وثقافات عمل مُتَطورة، ويجري بواسطتها بناء القدرات وتحقيق الإنجازات وصياغة التَوجهات وإيجاد مبادرات عديدة تصب في تحقيق الرؤى التنموية هذه التي آمن بها.

من باب العرفان، وتعبيرًا عن وفائنا وتقديرنا لراحلنا الكبير، دعوني أستعرض معكم وباختصار طيفًا من السياسات والتَوجهات والمبادرات التي جرى اعتمادها خلال

مسيرة العمل الوضّاءة والفاعلة التي قادها وأدارها فقيدنا لأكثر من عقدين من الزمن، مع الإشارة إلى أنها لم تكن وليدة تخطيط استراتيجي شامل وطموح جرى وضعه منذ الانطلاقة الأولى للمركز، بل نتيجة مخاض تراكمي انطلق من الرؤى والغايات الكبرى، وتبلورت ملامحه ونتائجه من خلال مزيج خلاّق من التَبصُّر- والفكر، وتلمس الطريق بناءً على التجربة والممارسة وعبر اغتنام الفرص، والاستفادة من القُدرات التمكينية المختلفة المتاحة للمؤسسة، ومن تجارب الآخرين.

أولاً: على صعيد السياسات والتَوجهات الكبرى:

* جرى التَركيز على الأبحاث التطبيقية والموجهة أو الهادفة المرتبطة بالطلب، وعلى التطوير التِّقاني والهندسي وصولًا إلى استكمال حلقة الابتكار وذلك بربط البحث بالصناعة واستثمار نتائجه، وبتحقيق المنتج، والقيام بنشاطات إنتاجية ونقل تقاناتها.
* جرى اعتماد المجالات التخصصية الأساسية، بحيث تحقّق مُتَطلبات العصر التقاني البازغ، أي الإلكترونيات والاتصالات والفيزياء التطبيقية بتفرعاتها والميكانيك والمعلوماتية والمواد، ومن ثم المجالات المتعددة التخصصات كالطيران ونُظُم هندسية أخرى عالية التعقيد.

أدّى مخاض المركز في العمل المؤسساتي إلى اعتماد صيغ هيكلية متبدلة في فعالياته الأساسية، تَبَعًا لحاجات العمل وتطورها، فانتقل تباعًا من هيكلية أكاديمية إلى هيكلية وظيفية، إلى هيكلية هجينة مصفوفية مرنة تتناسب مع التوجه المُتَعاظم فيه لتأطير الجزء الأكبر من أعماله ونشاطاته ضمن قوالب يطغى عليها طابع المشروع، مع الاهتمام أيضًا بمجالات التخطيط والإدارة والاقتصاد، التي لا يكتمل العمل الابتكاري الهادف إلى التسويق والاستثمار بدونها.

د. موفق دعبول - د. عادل العوا - د. زهير البابا - د. عبد الرزاق قدورة - د. عبد الكريم اليافي - د. مكي الحسني الجزائري - د. عبد الحليم سويدان
د. مروان المحاسني - أ. جورج صدقني - د. ليلى الصباغ - د. واثق شهيد - د. شاكر الفحام - د. إحسان النص - د. محمود السيد - أ. سليمان العيسى

صورة تذكارية مع زملائه أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

أمام المدخل الشمالي (٢٠٠٢)

حفل استقبال الدكتور عبد الله واثق شهيد

عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٩٥)

الدكتور واثق شهيد مع زميله عضو المجمع الأستاذ جورج صدقني

ويظهر بينهما في الخلف عضو المجمع الدكتور محمد زهير البابا – رحمهم الله جميعاً

أمين المجمع الدكتور واثق شهيد مع رئيس المجمع الدكتور شاكر الفحام – رحمهما الله

في حفل استقبال عضو المجمع الجديد الدكتورمحمد مكي الحسني الجزائري

مع زميليه عضوي المجمع الدكتور مازن المبارك والدكتور موفق دعبول

حفل تأبين الدكتور عبد الله واثق شهيد – رحمه الله (٢٠١٥)

* اعتماد نُظُم مالية وإدارية مرنة في ظل نظام صلاحيات وضبط ملائم، وهذا مما وفر للمركز ولفعالياته قدرة عالية في التحرك النشط والفعّال، وفي إنجاز مهامه بوتيرة مُتَسارعة.

ثانيًا: على صعيد بناء وتنمية الكفاءات والقدرات البشرية:

حظيت الموارد البشرية بعناية ورعاية خاصة من إدارة المركز منذ انطلاقته الأولى، إدراكًا وإيمانًا بدورها المركزي في نجاح أي عمل مؤسسي هادف، ولا سيما إذا كان الأمر مرتبطًا بالغايات والطموحات الكبرى التي أُنيطت بهذه المؤسسة الوليدة، وآفاق تطورها. وقد اعتُمدت عدة توجهات ومُبادرات باتجاه تنمية هذه الموارد نوعًا وكَمًّا وكفاءة، بما يَتوافق مع تطور العمل ومُتَطلباته، فشملت:

* العمل على استقطاب خريجي الجامعات السورية الأوائل في الاختصاصات المطلوبة، وكذلك المخبريين، وإكسابهم الخبرات من طريق الممارسة بزجِّهم بِفِرق العمل المكلفة بإنجاز الأعمال والمشاريع المطروحة.
* انتقاء المتميزين منهم، وإيفادهم لتحصيل شهاداتٍ عليا من ماجستير ودكتوراه في جامعاتٍ أجنبية عالية المستوى، وفي المجالات المطلوبة، أو التي يجري استشرافها.
* الاهتمام بإقامة دورات تأهيل وتدريب وفق منظور التَعليم والتعلم المستمر في موقع المؤسسة أو بالاستفادة من دورات أخرى متاحة محليًا.
* إيفاد بعض العاملين خارج القطر لحضور مؤتمرات ودورات تأهيل وتدريب تخصصية غير مُتاحة محليًا.
* الاستفادة من البرامج التدريبية التخصصية التي تضمّنها العَديد من العقود التي جرى إبرامها مع مؤسسات وشركات أجنبية.

* اكتساب المعارف والخبرات من مؤتمرات وحلقات ودورات تخصصية يجرى تنظيمها محليًا، ويُشارك فيها خبراء سوريون أو عرب أو خبراء دوليون.
* ولا بد من الإشارة بوجه خاص إلى التجربة الرائدة التي أسس لها المركز في تنمية الموارد البشرية العالية المستوى في مجال التعليم الهندسي التخصصي، ألا وهي تجربة المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا. لقد حظي هذا المشروع الرائد بحيِّزٍ هام من فكر وجهد واهتمام ومتابعة المرحوم الدكتور شهيد وزملاءَ له في المركز طيلة سَنوات التأسيس وبعدها، وقد تعاونت جهات رسمية وأكاديمية فرنسية عدة في تأسيسه، وفي توفير الدعم المتعدد الجوانب الذي تضمن توظيف موارد مالية وتعليمية هامة، والمساهمة في بلورة مناهجه التعليمية، وتوفير مِنَح لطلاب المعهد لمتابعة دراساتهم العليا في فرنسا لتحصيل شهادات دبلوم دراسات معمقة وماجستيرات وشهادات دكتوراه.

لقد انطلق إيمان د.شهيد بضرورة إشادة مؤسسة تعليمية على غرار المعهد العالي من يقينه بالحاجة الوطنية لأكثر من نوع أو نمط واحد من التَعليم الجامعي، وإلى حاجة المركز المُتَزايدة لمهندسين بكفاءاتٍ علمية وتطبيقية وتكنولوجية متقدمة يكتسبونها بإخضاعهم لمنهاج تعليمي خاص يتضمن اختصاصاتٍ نوعية مطلوبة، كالمعلوماتية التي كانت تمثل اختصاصًا بازغًا عند تأسيس المعهد. وكان د.شهيد يؤمن كذلك بأن القطر بحاجة إلى أطر قيادية في مختلف مجالات العلم والتقانة، وأن هناك حاجة لإعدادها إعدادًا خاصًا، وكان يستشهد في موقفه هذا بتجارب مماثلة خاضتها دول عدة كفرنسا والولايات المتحدة وروسيا والهند وسواها، حيث توجد أنماط تعليمية عدة يستجيب كل منها لحاجات وطنية أو حاجات سوق عمل معينة.

ثالثاً: على صعيد التَوجهات والمبادرات الرديفة:

* كان المركز في ظل إدارة د.شهيد سباقًا في بلورة مفاهيم الجودة والموثوقية واعتمادها في مشاريعه وأعماله ونشاطاته، كما بادر إلى ترويجها ونشرها اعتبارًا من مطلع التسعينيات، وبالتَعاون مع مؤسساتٍ وطنية أخرى وذلك بتأليف لجان مشتركة تضمّنت نشاطاتها إقامة ندوات وتقديم محاضرات ودورات تدريبية لوزارات ومؤسسات الدولة، وكذلك مؤسسات القطاع الخاص. وكانت مجمل هذه المبادرات والنشاطات بمثابة قاطرة وقوة دفع للعديد من التَحركات الخاصة بالجودة ونظم إدارتها التي انطلقت لاحقًا، واعتُمدت رسميًا على الصعيد الحكومي، ومن بينها سَنّ التشريعات الناظمة، وإطلاق البرنامج الوطني للجودة مُتَضمنًا دعم البِنى الأساسية للجودة وسواها.
* كما كان المركز سباقًا في بداية التسعينيات أيضًا في التطرق إلى مفهوم الحاضنات التكنولوجية والتَرويج لاعتماد هذا النموذج لإطلاق مشاريع رواد الأعمال ذات البعد التّقاني، علمًا أن هذا النهج كان لا يزال في بدايته في حينه على مستوى المنطقة وعلى الصعيد العالمي ككل.

رابعًا : على صعيد التَعاون الخارجي

انطلق المركز في المرحلة الأولى من العمل من مفهوم الاعتماد الذاتي في تنمية قدراته، وبناء خبراته بالاستفادة مما يمكن توفيره ضمن البيئة الوطنية من كفاءات وإمكانات وموارد، وبالاستفادة من بعض الكفاءات المغتربة العائدة أو التي تم إعدادها في الخارج. لكنه تبين بعد عدة أعوام من ممارسة العمل أن الإسراع في اكتساب المعارف والخبرات، وفي إقامة بِنى أساسية متقدمة تَستوجبان الاعتماد المُتَزايد على أوجه مختلفة من التَعاون

مع جهاتٍ خارجية. بناءً على ذلك جرى إطلاق عدة مُبادرات واقتناص فرص متاحة أدت إلى تحقيق ما يلي :

- **مع فرنســـا**
  - إقامة تعاون وثيق مع جهاتٍ رسمية وأكاديمية فرنسية في تأسيس المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا كما أسلفنا.
  - إقامة بعض البِنى التّقانية المتقدّمة بالاستفادة من قرض فرنسي.
- **مع الاتحاد الأوربي**
  - دعم البِنى الأساسية العلمية والتقانية للمعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بالاستفادة من مِنَح جرى تقديمها في إطار بروتوكول الاتحاد الأوربي الثاني للتَّعاون مع سورية.
- **مع اليابـــان**
  - إقامة المخبر الوطني للمعايير والمعايرة، وإقامة مشاريع رائدة في الطاقة الشمسية الفوتوفولطائية في ريف حلب بالاستفادة من مِنَحٍ يابانية.
- **مع الهنـــد**
  - إقامة فعالية بطاقة إنتاجية محدودة للوحات الطاقة الشمسية الفوتوفولطائية بالاستفادة من منحة هندية.
- **مع الاتحاد السوفياتي**
  - المُشاركة في مشروع التَعاون الفضائي السوفياتي السوري، وبلورة مشروع طموح لإقامة مركز أبحاث الفضاء.

- **مع الكـويت**
  - تأسيس المدرسة العربية للعلوم والتكنولوجيا بالتَعاون بين ثلاث مؤسسات علمية سورية، وثلاث مؤسسات علمية كويتية، وإقامة أمانتها المركزية في دمشق، حيث هدفت المدرسة إلى توفير ملتقى علمي لباحثين عرب ومحاضرين عالميين مرموقين يجري في حلقاته اكتساب المعارف والخبرات المتقدمة في مجالاتٍ علمية وتقانية متقدمة.
- **مع الجـزائر**
  - إقامة مشاريع مشتركة في عدة مجالات علمية وتقانية متقدمة.
- **مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)**
  - تم إطلاق مشروع إعداد استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي في أواسط الثمانينيات بتمويلٍ من «الألكسو». امتد العمل بالمشروع عدة سَنوات، وضمن أربعة برامج يشمل كل منها إعداد مجموعة من الدراسات ذات العلاقة من قبل خبراء عرب من دولٍ عربية عدة، وبعض الخبراء العرب المغتربين. شملت البرامج عشرات الدراسات تم تلخيص نتائجها في كتابٍ شامل صدر عام ١٩٨٩. تم تشكيل لجنة إدارية عليا للمشروع قوامها كبار مديري مؤسسات البحث العربية، وكبار المختصين العرب في مجال سياسات واستراتيجيات العلوم والتقانة، وكُلِّف المرحوم الدكتور شهيد برئاسة اللجنة التي كانت تجتمع دوريًا لمراجعة المشروع وتطوره، واتخاذ القرارات اللازمة بشأنه. كما شُكلت أمانة للجنة وللمشروع من عاملين مختصين في المركز بإشراف د.شهيد، وقد كان ذلك مؤشّرًا واضحًا عن المكانة المرموقة في مجال العلوم والتقانة التي كان قد حظي بها

المركز ومديره العام على مستوى الوطن العربي ككل. وكان من أهم نواتج ومخرجات المشروع الخبرات المكتسبة من قبل العَديد من المختصين السوريين والعرب الذين ساهموا فيه حيث وظف بعضهم تلك الخبرات في المُساهمة في صياغة سياسات واستراتيجيات العلوم والتقانة في أكثر من بلدٍ عربي، وفي إعداد وتنفيذ برامج وطنية عدة في مجال العلوم والتقانة، وذلك انطلاقًا من النتائج التي تمخضت عن الدراسات المعَدَّة، وعن حلقات النقاش والندوات العَديدة التي رافقت تنفيذ المشروع.

- **مع منظمات دولية وإسلامية**

  - كما شارك المركز بفعالية في العديد من النشاطات ذات العلاقة بالعلوم والتقانة والابتكار التي نظمتها لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)، ولجنة منظمة التَعاون الإسلامي (الإيسيسيكو) وسواها من المنظمات العربية والدولية التي تنشط في هذه المجالات.

- **على صعيد نقل التقانة وإقامة البِنى الأساسيّة المتقدمة**

  - استفاد المركز من التعاون الخارجي في تنفيذ عدد من المشاريع من هذا القبيل ، ومن بينها مشروع رائد في مجال الصناعات الالكترونية تم التَعاقد لتنفيذه مع شركة أوربية.

دعوني في الختام أتطرق إلى بعض السمات الشخصية للراحل الكبير، والتي لمستها كما لمسها العَديد ممن رافقوه وعملوا معه طوال العديد من السنوات. لقد حظي رحمه الله بحضورٍ بارز وباحترامٍ كبير. كان خلوقًا وودودًا ودمثًا يبث الراحة والثقة في النفوس. يحترم الخلاف والاختلاف، يُقنع ويَقتنع من خلال الحوار المنفتح، يُعالج القضايا بصبرٍ

وهدوء، وإن كان صارمًا وقاسيًا أحيانًا إذا تطلب الأمر ذلك. حرص دائمًا على تحقيق العدل والإنصاف بين العاملين في المؤسسة، وعلى احتضانهم ورعايتهم كالأب الرؤوف، ووقايتهم والمؤسسة من المؤثرات والمداخلات السَلبية.

رحم الله الدكتور شهيد الذي خلّف لنا عندما غادر المركز قبل إحدى وعشرين سنة إرثًا مؤسساتيًا غنيًا يُمثل موردًا وطنيًا يَزخر بالقُدرات والكفاءات لنستثمرها ونطورها ونبني عليها، وهكذا كان بالرغم من التَحديات والصعاب، وخاصةً تلك المستجدة في السَنوات الأخيرة بحكم الظروف الراهنة. وليطمئن فقيدنا الغالي وهو في مثواه الأخير أن المركز الذي أسسه وأداره ربعَ قرنٍ من الزمن، وحيث وظائف التعليم والبحث والإنتاج تتفاعل في بوتقة واحدة كما كان يُردد، ليطمئن أن المركز يسير قُدمًا في استكمال تحقيق الأهداف والغايات الوطنية الكبرى التي مثلت رؤى وطموحات راحلنا الكبير.

كلمة الدكتور محمد حسان الكردي
رئيس جامعة دمشق

الأستاذ الدكتور محمد عامر المارديني وزير التعليم العالي

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية

السادة المسؤولون في الحزب والدولة.

السادة الزملاء أعضاء الهيئة التدريسية والأطباء

أسرة أستاذنا الفقيد الدكتور عبدالله واثق شهيد.

السيدات والسادة الحضور:

نجتمع اليوم لنؤبّن أحد رجالات العلم، ليس في جامعة دمشق فحسب وإنما في دمشق وبلدنا الحبيب «سورية»، إنه الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد رحمه الله، الذي كان القدوةَ والأنموذج في الأخلاق والثقافة، والقامةَ الباسقة في المجتمع والحياة العامة.

الحضور الكريم:

لقد شاءت إرادة الله أن تنطفئ شمعةٌ طالما أنارت الطريق للكثير من طلبة العلم، وزوَّدت الأجيال المتعاقبة بالعلوم منذ انطلاقة مسيرتها العلمية عام ١٩٦٦، حيث كان أستاذنا الدكتور واثق (رحمه الله) في طليعة من تولى مهامَّ إدارتها وأعباءَها، فأرسى آنذاك نظامًا تعليميًا متطورًا، وبذل جهودًا كبيرة وصادقة من أجل توفير الأُطُر التدريسية لها من دول مختلفة.

كان الدكتور واثق شهيد من أبرز أعلام سورية، حصل على شهادة الدكتوراه في الطاقة

النووية من فرنسا، فكان أول شخصية شغلت منصب وزير تعليم عالٍ في سورية عام ١٩٦٦ . وفي عام ١٩٧١ كان أول مدير لمركز البحوث والدراسات العلمية في سورية، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٩٤م.

(وأقول صادقًا بصفتي أحد طلاب كلية العلوم بجامعة دمشق وخريجيها: إن أستاذنا الكبير المرحوم الدكتور واثق شهيد كان ولا يزال في وجداننا أبًا ومعلمًا وإنسانًا اقتدينا بأخلاقياته ومناقبه الوطنية والعلمية العالية).

لقد سعى الفقيد لترسيخ روح العمل الجماعي المبني على أسسٍ علمية مؤسساتية، وتبوأ المكانة العلمية السامية أستاذًا وباحثًا جامعيًّا فذًّا، أفنى عمره في التحصيل والبحث ومتابعة كل جديد في مختلف ميادين العلوم.

وعندما يكرم الوطن علماءه، وينزلهم منزلتهم التي يستحقونها، ويُبوِّئهم المكانة التي تليق بهم، فإنّما يقوم بذلك بِرًّا بهم وعرفانًا بفضلهم وتقديرًا لجهودهم وتضحياتهم في سبيل إعلاء شأن الوطن ورقيه الحضاري.

أسرةَ فقيدنا الغالي...

إن مشاركة جامعة دمشق في تأبين أستاذنا الدكتور عبدالله واثق شهيد تقدّم صورة من صور الوفاء لأستاذٍ جليل وعَلمٍ من أعلام العلم في سورية، وتؤكد تقديرها لجهوده التي بذلها خلال العقود الماضية في خدمة العلم وبناء الأجيال معرفيًّا ووجدانيًّا ، كما تجدّد اعتزازها بالأثر الطيب الذي نسجه في تاريخ منظومة التعليم العالي في سورية.

إننا في جامعة دمشق نؤكد تقديرنا واعتزازنا بكل علماء سورية المعطاءة، وما تأبيننا اليوم لأحد أعلامها النجباء إلا تأكيدٌ على اعتماد الجامعة نهج الحرص على القيام بدورها وواجبها تجاه علمائها، والتذكير بتجاربهم وإبداعاتهم، ووضعها أمام أجيال الطلبة الذين يتلقون العلم والمعرفة في كليات الجامعة ومعاهدها لتكون نبراسًا لهم في الجد والاجتهاد

وتحصيل العلم. وأؤكد لكم أن الجامعة ستواصل تقدمها وتطورها وتألقها لتبقى على الدوام مركز إشعاع علمي وفكري وحضاري.

إن جامعة دمشق حزبًا وإدارة ونقابة معلمين واتحاد طلاب لم ولن تنسى عطاء الفقيد، ونؤكد لكم أن روحه وقيمه ستبقى دليل عمل براق ومنهج سلوك مشرف لزملائه وطلابه.

رحم الله فقيدنا وطيب ثراه وأعلى في الجنة مثواه ونفعنا بما أبقى من قيم وعلم ومعرفة، وألهمكم - أنتم أسرته الصغيرة، ونحن أسرته الكبيرة - الصبر والسلوان.

كلمة أصدقاء الفقيد
للدكتور عماد الصابوني

ندرةٌ هم الذين يملكون رؤية ثاقبة يستشرفون بها معالم المستقبل، ويرسُمون في أذهانهم صورة ما ينبغي أن يكون؛ وندرةٌ هم الذين وهبوا حياتهم لتحقيق رؤيتهم، يضعون أهدافًا واضحة ومحدّدة، ويسعَون للوصول إليها بحنكة وحكمة؛ وفقيدُنا الكبير، الدكتور عبد الله واثق شهيد، كان – ولا شكّ – أحدَ هؤلاء.

تعرَّفت بالدكتور شهيد أول مرة في خريف العام ألف وتسعمئة وواحد وثمانين ١٩٨١. كان هو المديرَ العام لمركَز الدراسات والبحوث العلمية، وكنت واحدًا من مجموعة من الحائزين الجدد شهادةَ الثانوية العامة، ممّن كانوا يفكرون في دراسة التِقانات الحديثة، بدلًا من الطِب،كما يقضي التقليد السائد! اجتمع بنا الدكتور شهيد بنفسه، وراح يحدثنا عن العلم والعمل الجادّ؛ حدثنا عن جمال تعلّم الرياضيات والفيزياء والعلوم الهندسية، وعن فرص الدراسة في أفضل جامعات أوربا؛ حدثنا عن المعهدِ الذي كان فتيًّا وقت ذاك، المعهدِ العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، وشرح لنا سبب إحداث هذا المعهد، ورسالتَه التعليميةَ في انتقاء المتفوقين ليصبحوا دارسين وباحثين في المستقبل. كان يتكلّم بهدوء وثقة، بطريقته الكَرِزْمِيَّة(*) الآسرة التي يألَفُها عارفوه. كثيرون أرضاهم كلامه، وخاضوا بفضله تلك التجربة الطويلة، التي كانت حقًا – بحلوها ومرّها – تجربة فريدة!

أمضى الدكتور شهيد عمره في خدمة العلم والبحث العلمي، ونذر نفسه لإقامة مركز الدراسات والبحوث العلمية، وتطوير البحث العلمي في سورية، الذي آمن بأنه

(*) أي: المعبِّرة عن موهبة قيادية تفرض الهيبة، من كلمة Charisma (إدارة المجمع).

أحدُ أسس بناء المجتمع الحديث، المعتمدِ على الذات. وإلى جانب تنمية الموارد التّقْنية والتّقانية اللازمة لذلك، رأى الدكتور شهيد أيضًا، بثاقب بصيرته، أهميةَ بناء الموارد البشرية من المهندسين والباحثين، ورأى أنّ ذلك لا يكون إلا بإشادة مؤسسة تعليمية عليا مميّزة، تستطيع معالجة نقائص منظومة التعليم الهندسي والتّقاني السائدة، فجاء –كما ذكرت آنفًا– بفكرة إحداث المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، وآمن إيمانًا عميقًا بالمعهد ورسالته، على الرغم من العقبات والتحديات والاعتراضات التي واجهها وما أكثرَها. وإذا كان المعهد لم يحقق كلَّ ما كان مؤسّسُه يصبو إليه، فقد أدى – ولا مِراء – دورًا جوهريًا في رفد المركز، والعديد من مؤسّسات الدولة لاحقًا، بمن يحتاجون إليهم من مختصين، وأثبت صواب رؤية الدكتور شهيد ودقةَ تحليلِه للمشكلات واختيارِه للحلول المناسبة وتنفيذها.

كان الدكتور شهيد مديرًا ناجحًا، يرتبط اسمه بالمهابة وقوة الشخصية، وبالإخلاص والنزاهة، وبالمتابعة الحثيثة للعمل والمشروعات. وقد أفاض من سبقوني بالحديث عن مناقبه في العمل، وعن نجاحه النابع من إيمانه الدائم بما يفعل؛ وأود أن أضيف إلى ذلك اهتمامَه المستمر، على المستوى الإنساني الشخصي، بجميع العاملين في المركز، ومنهم طلابُ المعهد العال في الدُفعات الأولى على الأقل. كان يتابع الطلاب في حياتهم الدراسية، ويسأل – مع انشغاله الشديد– عن احتياجاتهم اليومية؛ بل كاد هذا الاهتمام – وإن كان من باب الحرص الأبوي – يصل أحيانًا إلى حد التدخل في الحياة الشخصية. مقولته التي طالما سمعناها منه كانت: «عليكم دروسَكم، وعلينا البقية». وثمّة قصص كثيرة عن مساعدته للعاملين والطلاب في حلّ مشكلاتهم: أحد زملائنا المتفوقين في الدُفعات الأولى لا يتمكّن من توفير الكفالة المالية الكبيرة التي كانت تضعها الإدارة شرطًا للإيفاد، فيكفله الدكتور شهيد بنفسه، بل ويبقى يتابع شؤون والديه

المسنَّين أثناء سفره؛ إحدى زميلاتنا تقطن في منطقة بعيدة ولا تملك وسيلة نقل ملائمة، فيرسل لها الدكتور شهيد سيارته لتُقِلَّها إلى المعهد جيئة وذهابًا. وكان يتتبّع بنفسه أخبار الموفدين إلى أوربا فردًا فردًا، ويسأل، لا عن نتائجهم فقط، بل عن أحوالهم المعيشية أيضًا. ومثل ذلك كثير.

لقد كان حبُّ العمل سمةً أصيلة في شخصية الدكتور شهيد، لهذا نراه بعد أن ترك مركَز الدراسات والبحوث العملية يعمل بالجِدّ والنشاط ذاته في مجمع اللغة العربية، فبقي مثابرًا على القدوم إلى مكتبه فيه حتى آخر لحظة، على الرغم من مرضه الأخير. وظلّ يعمل في حقل التعليم العالي، وظلّت أفكاره نيّرة وآراؤه سديدة حتى النهاية، فكان بذلك للكثيرين قدوة ومثلًا.

لا أظننا نودّع أبدًا أستاذنا الكبير الدكتور شهيد،فمدرستُه مستمّرة في من بقي من رفاق دربه – أطال الله عمرهم – وفي تلاميذه وطلابه. وإذا كان جثمان فقيدنا قد وُوري الثرى، فسيظل إرثُه العلمي والأخلاقي باقيًا. ومن كان مثلَه من الرجال لا يرحل، بل يدوم في ذاكرة الأمة، وفي قلوب محبيه الأوفياء.

إنه لشرف عظيم لي أن أنوب عن طلاب الدكتور عبد الله واثق شهيد وعن أصدقائه في هذا الموقف، فأقولَ هذه الكليمات القليلة التي لا تفيه حقّه. وإنّ لِشاعرِ العرب، أبي الطيب المتنبي، بيتين أجدهما من أجمل الشعر، وإخالهما يعبّران أفضل تعبير عن مآثر راحلنا العظيم:

على قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ وتأتي على قَدْرِ الكِرامِ المَكارمُ

وتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها وتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ

SCIENCE

كلمة طلاب الفقيد
للدكتور أحمد الحصري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته معشر الحضور الكرام:

وبعد فقد دعيت لإلقاء كلمة بمناسبة حفل تأبين فقيدنا الغالي الدكتور عبد الله واثق شهيد، وذلك بصفتي طالبًا من طلابه. فقد كان رحمه الله أستاذي عام ١٩٦٠ درست على يديه مقرر الترموديناميك أو علم التحريك الحراري وأعدَّ فيه كتابًا جامعيًا ما زال مرجعًا أساسيًّا للطلاب في هذا الفرع من العلوم الفيزيائية.

ثم عملت مع الدكتور شهيد معيدًا في قسم الفيزياء بكلية العلوم مدة عامين طورنا خلالهما تجارب الفيزياء في القسم. ولا أزال أذكر حفل الوداع الذي أُقيم لي ولزميلي الدكتور إبراهيم حداد في عمادة الكلية بحضور أساتذة القسم جميعهم حيث توجه عميد الكلية الأستاذ نادر النابلسي حينئذ بالنيابة عن أساتذة القسم قائلًا: «إنكم سفراء بلدكم إلى حيث توفدون فأَرُوا أساتذتكم هناك كل ما يخلِّد ذكراكم لديهم وذكرى البلد الذي أوفدتم منه».

ثم أتيحت لي الفرصة لأعمل مع الدكتور عبد الله واثق شهيد وهو مدير عام لمركز الدراسات والبحوث العلمية وذلك بصفة متفرغ للبحث العلمي فيه، ودام عملي معه وبإشرافه ثلاثين عامًا بين عامي ١٩٧٢ و٢٠٠٢ كلفني فيها بمهامَّ متنوعة أذكر منها:

- رئاسة لجنة البعثات العلمية.
- مدير التعاون العلمي.
- معاون المدير العام للشؤون الإدارية.
- منسق مشاريع السوق الأوربية المشتركة.
- رئيس قسم الفيزياء في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا.

ثم شاءت الأقدار أن أعمل مع الدكتور شهيد وهو في مجمع اللغة العربية بصفةِ خبيرٍ فيزيائي بهدف إعداد معجم مصطلحات الفيزياء، وذلك في إطار توحيد مصطلحات الفيزياء في الجامعات السورية، وهو عمل استمر ما يقارب عشر سنين بين عامي ٢٠٠٥و٢٠١٥. ولا أزال أذكر كيف كان الدكتور شهيد يتابع هذا العمل بدأب وصبر لا مثيل لهما حتى رأى ثمرة ذلك العمل بصدور المعجم قبل أن يفارق الحياة.

لقد كان يأتي إلى المجمع قبل وفاته بأشهر يحمل عكازًا، يتهادى بين رجلين ليشارك في اللقاءات الدورية التي كانت تعقدها اللجنة التي شُكلت لهذه الغاية لتدارس مصطلحات الفيزياء واحدًا واحدًا حتى يكون تعريف كلٍ منها جامعًا مانعًا.

ولما خارت قوى فقيدنا الغالي ودخل المشفى للعلاج كنت أزوره هناك. ولقد زرته مرة في مشفى الشامي ومرتين في مشفى الأسد الجامعي. كان في كل مرة يحاول النطق فتخونه شفتاه عن الكلام وكنت أرى في عينيه الرضا والسرور بقضاء الله وقدره.

وهكذا فقد أمضى الدكتور شهيد حياة مَلْأى بالعطاء سواء أكان مدرِّسًا جامعيًا أم مديرًا لمركز الدراسات والبحوث العلمية أم أمينًا لمجمع اللغة العربية أم رئيسًا للَّجنة التي أعدت معجم مصطلحات الفيزياء.

لقد خسرنا بفقدان الدكتور عبد الله واثق شهيد رجلًا عملاقًا أنجز أعمالًا عملاقة واستنهض لإنجازها رجالًا مخلصين لهذا البلد الصامد تعلموا منه الكثير، رجالًا استهانوا بالصعاب وشقّوا الطريق برغم وعورته، رجالًا وصف الشاعر أحدهم بقوله:

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدرِكَ المنى فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابرِ

وفي الختام اسمحوا لي أن أدعوَ نفسي وأدعوَكم لقراءة الفاتحة على روح فقيدنا الغالي آنسه الله وعوَّضه الله الجنة.

والسلام.

كلمة آل الفقيد
للدكتور زكريّا جَقَّل

قال تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

وقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾

صدق الله العظيم

السيدة الدكتورة نجاح العطار نائبُ رئيسِ الجمهورية.

السيدُ الدكتور عامر ماردیني وزيرُ التعليم العالي.

السيدُ الدكتور مروان المحاسني رئيسُ مجمعِ اللغة العربية بدمشق.

السيدُ الدكتور عمرو الأرمنازي المديرُ العامُّ لمركز الدراسات والبحوث العلمية.

السيدُ الدكتور حسان الكردي رئيسُ جامعة دمشق.

السادةُ الحضور:

نجتمعُ اليومَ في حضرة فقيدِنا الغائبِ الحاضر الدكتور عبد الله واثق شهيد، الذي غابَ عنا جسدًا ولكنه حاضرٌ بعلمِه وأخلاقِه، وبما تركه لنا من إرثٍ مُزهرٍ على امتدادِ الوطنِ الحبيب.

ويشرفني نيابةً عن أسرة الفقيدِ أن أتقدَّمَ بجزيلِ الشكرِ والعرفانِ لمبادرتكم هذه، وللسادةِ الأفاضلِ الذين حضروا هذا الحفل، ورافقوا الفقيدَ في رحلة عملِه وعطائِه،

كما نتوجَّه إليكم بوافر الشكر لما ذكرتموه من علمٍ ومآثرَ لفقيدِنا، فكانَ لنا في كلماتِكم ما يُخفِّفُ مِن مُصابِنا ويَشدُّ من أزرنا، ويبقى شهادةً نفتخرُ بها لتاريخٍ طويلٍ وسِيرةٍ طيّبةٍ للفقيدِ، ويدلُّ أولًا وأخيرًا على نُبلٍ ورِفعةٍ في الأخلاقِ وإخلاصٍ منقطعِ النظيرِ تُكِنُّونهُ لفقيدِنا رحمَه الله.

في حضرةِ ذكراهُ نأتيهِ محمَّلينَ بالسلامِ والدعاءِ له، ليرى فينا غرسًا زرعَه طَوالَ سِني عطائِه وعملِه، في حضرةِ ذكراه نَقف بإجلال أمامَ ما تركه لنا من إرثٍ لا ينضبُ تتوارثُه الأجيالُ وتذكره ما بقيتْ. في غيابه المُفْجعِ ورحيلِه المُوجعِ يبقى فينا أبًا لا يُعوَّضُ، علّمَ فأبدعَ ، صنعَ فأجادَ ، أنجَز فأعجزَ، رحل فأتعبَ.

لقد عرفتم فقيدنا رجلَ علمٍ وفكرٍ وأدبٍ، وعرفتموه مُربِّيًا وأستاذًا جامعيًّا ومسؤولًا في مواضع مختلفة، لكننا عرفناه فوق ذلك أبًا حنونًا وأخًا نصوحًا، برغمِ مشاغلِه الكثيرةِ واهتمامِه بعملِه حتى في الأيام الأخيرةِ من حياته. لقد كان يهتمُّ بعائلته صغيرِها وكبيرِها، ولم يكن لينسى رحمه الله رفاقَ العمرِ والصحبةِ ورفاقَ العملِ العلميِّ والأكاديميِّ، بل كان دائمَ السؤالِ والحديثِ عنهم، يُكِنُّ لهم كلَّ الحبّ والتقدير، ويُثني على أعمالهم البديعة وأخلاقِهم الرفيعة.

لقد كنتُ محظوظًا بمُلازمةِ فقيدِنا في مراحلَ مختلفةٍ من حياتِه، وتلكَ الصحبةُ تركتْ لديَّ ذكرياتٍ لا تُمحى، ومَنحَتني فرصةَ التعرفِ عن قربٍ بكثيرٍ من الجوانبِ الإنسانيةِ في شخصيّتِه، والمواقفِ النبيلةِ في حياتِه. كما استفدت من فكرِه وطريقةِ محاكمتِه المنطقية، وإليه يرجعُ الفضلُ الكبيرُ في صقلِ معارفي، وتَفتُّحِ الآفاقِ أمامي، كما هو حال الكثيرين ممن تَربَّوْا أو تلمذوا له أو نهلوا من علمِه وتوجيهاتِه.

لقد كانت خسارتُنا كبيرةً، لذلك أقفُ اليومَ، وبعدَ أربعينَ يومًا من الصدمةِ والذهولِ، لا لأرثيَهُ أو أُعدِّدَ مآثرَهُ التي هي اليومَ على كلِّ شفةٍ ولسان، بل لأقفَ وقفةً

وجدانيّةً وأخاطِبَ روحَه الطاهرةَ علَّنا نستلهم منها بعضَ معاني العطاءِ والوفاءِ والإحسانِ والتضحية.

لقد تعلمنا منه أن للنجاحِ قيمةً ومعنًى، وتعلَّمنا كيف يكونُ الإخلاصُ والتفاني وإتقانُ العمل. تعلمنا الصدقَ والأمانة، ومن قلبِه الكبير، ووجدانه العميق عرفنا الحبَّ والإيمانَ والحنان. علّمنا كيف نرى الحياةَ بشموخٍ وكبرياء، علّمنا كيف ننسجُ الصداقةَ الشفافةَ، علّمنا كيفَ تكون الصحبة بين الكبيرِ والصغير.

تعلمنا منه التواضعَ واحترامَ الإنسان، تعلَّمنا منه الصّدقَ والبعدَ عن النفاق، تعلمنا منه رحابةَ الصدرِ وعدمَ ردِّ صاحبِ الحاجةِ، وكلُّ مَن عرفَه يعلَمُ أن بيتَه قبلَ مكتبِه كان مفتوحًا لكلِّ صاحبِ سؤالٍ أو حاجةٍ، ولا يُرَدُّ خائبًا من طرقَ بابَه.

كما تعودنا مشاركتَه الأقاربَ والأصدقاءَ في أتراحِهم قبلَ أفراحِهم برغم أعبائِه ومشاغلِه وعناءِ السفرِ ومشقةِ الطريقِ حتى في الأيامِ الأخيرةِ من حياتِه. أحيانًا كنا نضطرُّ أن نُخفي أو نؤجِّلَ بعضَ هذه الأخبارِ حرصًا على سلامته، ولعلنا نذكرُ حادثَ السيرِ الذي تعرضَ له وكادَ يُودِي بحياته لولا العنايةُ الإلهيةُ عندما كان مسافرًا إلى حلبَ من أجل تقديمِ العزاءِ لأحدِ الأقارب.

لقد كان – رحمه الله – سبّاقًا إلى فعلِ الخيرِ والإحسانِ لكلِّ محتاجٍ، وخاصةً الأيتام وذوي الاحتياجاتِ الخاصة. لم يكن يألو أو يدخرُ جهدًا لتأمين مستقبلهم أو فرصةِ عملٍ لهم، وكان السندَ والأبَ لأيتامٍ نسُوا يُتْمَهم بما أحاطَهم من اهتمامٍ ومحبة.

وهنا استذكر قول الشاعر:

ماذا أقولُ؟ وهل كلامي منصفٌ ... في حقِّ قُطبٍ راسخٍ ربّاني

لو قلتُ دهرًا ثم دهرًا لم أكنْ ... أنصفتُ منه لقاءَ ما رباني

لم يمـضِ يـومٌ في حيـاةٍ دونَ معـ ـروفٍ لـه يُوليـه للإنسـانِ
وكأنما المعروفُ عندكَ سادسُ الصـ ـلواتِ أو ركـنٌ مـن الأركـانِ
هـو ذا فـؤادي قـبرُ روحِـكَ «واثـقٌ» ودَعِ الـترابَ يلـفُّ بـالجثمانِ
فالجسـمُ يَـبلى والخلـودُ لـروحِ مَـن ربَّـى بروحـيَ بـذرةَ الإيـمانِ
لا، لا تُعـزُّوني وعَـزُّوا هـذه الـد ـدنيا التـي خسـرَتْ عظـيمَ الشّـانِ

رحم الله أبا زيادٍ لقد فقدناه، وتلك مشيئة الله، ولا رادَّ لمشيئته، ولكنه سيبقى حاضرًا في ذاكرتنا حيًّا في ضمائرنا، بما كان يمثِّلُه من قيمٍ رفيعةٍ ومواقفَ إنسانيّةٍ جعلت منه مثالًا نادرًا يُحتذى، عَمِلَ وتركَ الكثيرَ من الشواهدِ على أعمالِهِ وإنجازاته، فثَقُلتْ موازينُ إحسانِه في الدنيا، ونرجو من الله تعالى أن يرفعَ مقامَه في الآخرة، وأن يجزيَه الجنةَ التي وعدَ بها عبادَه المتَّقين، إنه سميعٌ مجيب.

ورد في الحديث الشريف: «إذا مات المرءُ انقطعَ عملُه إلا مِن ثلاث: صدقةٌ جارية، وعلمٌ يُنتفعُ به، وولدٌ صالح يدعو له»، ونحمد الله أن لفقيدنا في كل منها نصيبًا، وأَستعيرُ هنا قول الشاعر:

«ما ماتَ من ماتَ محمودًا خصائله»

نعم إننا محزونونَ على فراقِكَ أيها الحبيبُ، ولكن لا اعتراضَ على إرادةِ الله، وها أنت عُدتَ إلى الأحبةِ الذينَ فقدتَهم، عُدتَ إلى جوارِ والدِك، الذي طالما وقفتَ في المحرابِ الذي كانَ يُصلِّي فيه بالناسِ وأنتَ تزورُ مدينةَ حارم، وعُدتَ إلى والدتِك التي رحلتْ وأنت بعيدٌ عنها، وكنتَ دومًا تذكر رحيلَها بحسرةٍ وحُرقة. وعُدتَ إلى رفيقةِ دربِكَ التي طالما ذكرتَ الشوقَ والاشتياقَ لها، وشعرنا كلُّنا بالفراغِ الذي تركه رحيلُها، فلم نعد نرى السعادةَ تَشِعُّ من عينيك.

عهدًا من الأبناءِ والأحفادِ ولكلِّ من يَحفظُ معروفًا أنت صانعُه أن نكونَ خيرَ ما

تركتَ من إرثٍ، وأن نكونَ خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ، وأن نُتابعَ مسيرةَ العلمِ والتعليمِ التي ربَّيتَنا عليها، وأن نُتابعَ مسيرةَ عطائكَ في جميعِ المجالات.

انتقلَ فقيدُنا رحمَه اللهُ إلى جوارِ ربِه وبلدنا يمرُّ بظروفٍ صعبةٍ وقاسيةٍ على الجميعِ، إلا أنَّ الكثيرين وأَنتمْ جَميعًا في طليعتِهم كُنتمْ حَريصينَ على مشاركتِنا أحزاننا والوقوفِ معنا في أثناءِ مرضِه وحتى هذه اللحظة، فإنْ كنَّا عائلتَه الصغيرةَ فَأَنْتُمْ كما كانَ يراكم عائلتُه الكبيرة.

وختامًا باسمي وباسم عائلةِ الفقيدِ وعمومِ آلِ شَهيدٍ نتوجه بالشكر والعرفان لكل من ساهم في تخفيف مُصَابنا، داعيًا الله عزَّ وجلَّ أن يحفظَكم وعائلاتِكم ويجزيَكم خيرًا عن صادقِ مشاعرِكم ومشاركتِكم. وأخصّ بالشكر الجزيل:

السيدة الدكتورة نجاح العطار نائبَ رئيسِ الجمهورية، والسيد وزير التعليم العالي، والسيد رئيس المجمع وأعضاءَه، والسيد المدير العامّ لمركز الدراساتِ والبحوثِ العلمية، والسيد رئيسَ جامعة دمشق، والسيد المديرَ العامّ لهيئة الطاقة الذرية، وجميعَ الفعالياتِ الحكوميةِ والشعبيةِ التي وقفَت بجانبنا وساهمت في تخفيفِ مصابنا.

ولا يسعني في الختامِ إلا أن أقول رَحمَ اللهُ فقيدَنا، ورحمَ أمواتَنا.

والسلامُ عليكمْ.

كلمة الختام
للأستاذ محمد زياد حلمي

آخر السطر أيها السّادة.. كلمات حرّى نرسلها إلى روح فقيدنا الغالي... سنفتقدك أيّها العالم الكبير.. سنفتقد كلماتك المنيرة.. سنفتقد حكمتك ورزانتك.. نستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.. أن يرحمك، ويغفرَ لك.. ويرفعَ مقامك في أعلى علّيين.

ونختتم بكلمات صادقة ألقاها الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدّورة – رحمه الله – في حفل استقبال فقيدنا الدكتور عبد الله واثق شهيد.. عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق.. مخاطبًا إياه بعاطفة صادقة نبيلة:

أيُّها الباني الحكيمْ أنت عبدُ الله واثقْ
وشهيدٌ وحليمْ أنت مأمونٌ وصادقْ
همَّكَ الخيرُ العميمْ والمعالي والحقائقْ
حثّك الأمرُ العظيمْ عاليًا كالنّجم شاهقْ
زانك الصّحبُ الكريمْ ورضا خلْقٍ وخالقْ

شكرًا لحضوركم أيها السادة الأكارم.. رحم الله فقيدنا الغالي.. ورحم شهداء الوطن.. دمتم بخير. ودام الأمن والسلام في ربوع أرضنا المعطاء.. سوريةَ الحبيبة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.